د. بلقاسم جياب

المحاضرة الأولى

مدخل تاريخي لعلم اللسانيات: نبذة عن الدراسات اللغوية عند الأمم القديمة:

كانت اللغة من أهم اهتمامات الحضارات القديمة ، وكان رقي الدراسات اللغوية مؤشرا على ترقي الفكر الإنساني في هذا المجتمع ، ولعل أولى الأسباب الدافعة للاهتمام باللغة ؛ حرص الشعوب على تدوين تاريخها ونقله إلى الأخر ممن سيأتي بعدهم ، ولن يكون هذا النقل أمينا إن لم تكن اللغة وفنية للمعاني المراد تبليغها ، فكان الاهتمام بالكتابة والأصوات منطلق البحوث اللسانية ، لتتبعها أمم تهتم بفهم المدونة الموروثة عن الأسلاف ، شرحا وتطويرا لوسيلة الكتابة ، أو رسم الحروف ، على أن هذه المدونة قد تكون مقدسة ، فيكتسب الاهتمام باللغة شرفا دينيا ورفعة أخلاقية واجتماعية ، كما حدث مع الهنود ونصوص الفيدا السنسكريتية ، ومع المسلمين والقرآن الكريم واللغة العربية ، أو يكون الاهتمام لأغراض تشريعية ، كما كان الأمر مع البابليين والكتابة المسمارية ، أو تجاريا مع الفينيقيين والسريانية ، أو يكون الغرض فلسنيا أو شعائريا كما حدث مع اليونان والإغريق ، ونصوص فلاسفتهم وإلياذتهم الشهيرة ، ولذا سنعرض لكل نشاط لغوي في هذه المجتمعات ، لنتابع و نستقرئ مناهج البحث عندها ؛ وما مدى قربها أو بعدها من العلمية أو الموضوعية المرجوتان في كل نشاط فكري.

1- الهنود:

يرى جورج مونان

– أحد علماء اللسانيات البارزين في هذا العصر–، أن الأبحاث اللسانية نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد ، تاريخ ظهور الأبحاث اللسانية أول مرة في الهند ، و أثرت عنهم دراسات في الأصوات والقواعد وقوائم المفردات وبعض جوانب الدلالة ، والبنية.

ويعتبر "بانيني" (650ق.م) ، أشهر النحاة الهنود ، فقد ألف كتابه "الكتب الثمانية" ، والذي يشتمل على:

–1 أنواع الجمل وتحتها : أنواع النغمات والخبرات الكلامية

-2ثم المفردات : وما يعتريها من التغيرات الصوتية ، في أوائلها وأواخرها...

وقد أعجب الأوربيون أيما إعجاب بهذا النحو ؛ إذ يقول فيرث اللساني الأنجليزي-: لولا النحاة الهنود الصعب علينا الآن أن نتصور مدرستنا الصوتية في القرن التاسع عشر."

ويرى بلومفيلد- من اللسانيين الأمريكيين المشهورين- :

"أن أهم من اكتشاف الشبه بين السنسكريتية واللغات الأوربية ، ما لحه الأوربيون من البنية اللغوية ، وذلك بفضل النحو الهندي الدقيق المنتظم، فالنحو الهندي هو الذي علم الأوربيين كيف يحللون أبنية كلامهم." | ويقول: "إن نحو بانيني يعد من أعظم الشواهد القديمة على تقدم العقل البشري. ". وقال عنه ماكس مولر: "لا يوجد نحو في أي لغة يعادل نحوه." وقد كان في الهند حوالي (12) مدرسة في النحو ، وما يقرب عن (300) كتاب مؤلف في هذا العلم.

2- اليونان:

استعار اليونانيون من الفينيقين الكتابة الهجائية ، وعلى الرغم من اختلاف لغتهم عن الفينيقية في الصوامت والصوائت ، فقد كيفوها بما يناسب لغتهم. وقد توصلوا إلى أن الصامت لا يمكن النطق به إلا مع صائت أو مصوت. وسموا المجموعة المكونة من الصوامت والصوائت مقطعا. وقالوا أن الصائت يمكن النطق به وحده ، فيكون بذلك بمنزلة مقطع واحد، أما بعد ظهور الفلسفة اليونانية ، فقد اتخذت الدراسات اليونانية منهجا جديدا حيث عولجت موضوعات مثل: هل اللغة تواضع واصطلاح أم توقيف ووحي؟ و هل الألفاظ موضوعة على نظام محكم وخاضعة لقوانين معقولة ؟ وهل هي طبيعية لا يستقر لها حال؟

ومن أشهرهم نحاتهم" أبولونيوس ديسكولي" (ت 150م) ، حيث بحث في قوانين اللغة و عللها ، وفي كتابه "التراكيب" ؛ "يأخذ على سابقيه اقتصارهم على ذكر الأمثلة ، وعدم التفاتهم إلى علة الشواذ ، وقد فضل الشواهد النثرية على الشواهد الشعرية ، لأن في الشعر التقديم والتأخير والحذف ، ويحذر من اللجوء إلى المعنى المجازي في تحديد

مدلولات الألفاظ ، لأنه عرضي ، كما عني بالكلمة و بدورها في الجملة ، وعارض أرسطو في تحديد مفهوم الكلمة ، فهو لا يلتفت إلى المفهوم المنطقي ، بل إلى اللغوي منه فقط.

3- الدراسات اللغوية عند العرب

أضحى القرآن الكريم صاحب الفضل في نشأة الدراسات اللغوية في التراث العربي و الإسلامي، فالقرآن نص لغوي اقتضت العناية به الخوض في دراسات لغوية و أدبية تطورت بمرور الزمن حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

فقد خشي العلماء المسلمون على القرآن الكريم من اللحن أو التحريف بعد أن تعددت ألسن الداخلين و اختطلت و تفشت ظواهر اللحن، فقد كان الناطقون بالعربية من الأمم الأخرى يقحمون لكناتهم في نطقهم لها كما كانت لعاداتهم النطقية سلطانهم على ألسنتهم. ضف إلى ذلك أن جهود علماء الإسلام توزعت حول القرآن الكريم و فهمه، و اتجهت كل جماعة وجهة في تفقهه فباتت كل طائفة عاكفة على تصحيح متنه في عناية فائقة و اتقان بارع في الأخذ و الأداء و التلقين و التلقي.

1- تعريف اللسانيات و تحديد تاريخ نشأتها :

اللسانيات هي الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم يتجلى لنا من خلال هذا التعريف أن اللسانيات تتميز بصفتين أساسيتين هما : العلمية و الموضوعية . فما المقصود بهما ؟.

1- العلمية : نسبة إلى العلم و هو بوجه عام إدراك الشيء كما هو عليه في الواقع، و بوجه خاص هو أتباع الطرق و الوسائل العلمية أثناء الدراسة والبحث (كالملاحظة و الاستقراء، و الوصف و التجربة ... الخ).

2- الموضوعية : وهي كلمة مشتقة من الموضوع و يقصد بها كل ما يوجد في العالم الخارجي في مقابل العالم الداخلي أو هي بتعبير آخر التجرد من الأهواء والميولات الشخصية أثناء الدراسة والبحث. وقد جاء في معجم اللسانيات لجون دي بوا أن اللسانيات هي " العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف و معاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية و الأحكام المعيارية و كلمة (علم) الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى التيز هذه الدراسة من غيرها، لأن أول ما يطلب في الدراسة العلمية هو أتباع طريقة

منهجية والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التحقق من إثباتها "[1]. والعلم (Science) هو الذي يهتم بدراسة طائفة معينة من الظواهر لبيان حقيقتها و عناصرها ونشأتها وتطورها ووظائفها والعلاقات التي تربط بعضها ببعض، و التي تربطها بغيرها، و كشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها "[2]

و تتميز اللسانيات عن علوم اللغة عند الغربيين قبل القرن التاسع عشر بجملة من الخصائص والمميزات حصرها جون ليونز (J. Lyons) فيما يأتي :

1. أن اللسانيات تتصف بالاستقلالية و هذه الصفة تؤكد علميتها في حين أن النحو التقليدي (**grammaire**) كان يتصل بالفلسفة و المنطق.

2. تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل اللغة المكتوبة خلافا لعلوم اللغة التقليدية التي كانت تفعل العكس.

3. تعنى اللسانيات باللهجات و لا تفضل الفصحى عليها على غرار ما كان سائدا في علوم اللغة التقليدية .

4. تهدف اللسانيات إلى إنشاء نظرية لسانية تتصف بالشمولية، إذ يمكن على أساسها دراسة مختلف اللغات ووصفها.

5. لا تعير اللسانيات أي اهتمام إلى الفروق بين اللغات البدائية و اللغات المتحضرة لأنها جميعا جديرة بالدراسة والبحث دونما تمييز أو انحياز مسبق.

6. تدرس اللسانيات اللغة ككل متكامل وذلك ضمن تسلسل متدرج من المستوى الصوتي إلى المستوى الدلالي مرورا بالمستويين الصرفي والنحوي).[3]

موضوع اللسانيات :

قال دي سوسير في تحديد موضوع اللسانيات " إن موضوع علم اللغة الوحيد والحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته و يبحث فيها لذاتها "[4]

---

[1] معجم اللسانيات نقلا عن مبادئ اللسانيات لأحمد محمد قدور دار الفكر ، دمشق 1999 ص 11.

[2] أنظر : علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص 24

[3] أنظر دي سوسيرن محاضرات في الألسنية العامة ص 17

[4] المرجع نفسه ص 24

منهاجها : تعتمد اللسانيات في دراستها للغة على ثلاثة معايير علمية هي :

أ– الشمولية : و معناها دراسة كل ما يتعلق بالظاهرة اللسانية دونما نقص أو تقصير.

ب– الانسجام : و يقصد به عدم وجود أي تناقض أو تنافر بين الأجزاء في الدراسة الكلية.

ج– الاقتصاد : ويراد به دراسة الظواهر اللغوية بأسلوب موجز و مركز مع التحليل الدقيق و الميداني[5]

أقسام اللسانيات العامة : قسم علماء اللسان الدراسة اللغوية إلى ثلاثة أقسام هي كما يلي :

1. اللسانيات التاريخية : وهي دراسة الظاهرة اللغوية عبر المراحل الزمنية المختلفة مع تبيان أسباب التغيرات التي تطرأ عليها وذلك :

– إما داخل لغة معينة بواسطة الأفراد. – و إما خارج اللغة وذلك عن طريق الاحتكاك بلغات أخرى.

2. اللسانيات المقارنة :

هي دراسة صلات القرابة بين اللغات ودراسة النظريات والتقنيات المستعملة في المقارنة لإيجاد القواسم المشتركة بينها أو للتمكن من الوصول إلى اللغة الأم أو الأصلية التي انحدرت منها هذه اللغات.

3. اللسانيات الوصفية :

وهي أهم قسم في الدراسات اللسانية ذلك لأنها تختص بدراسة اللغة و تحليل وظيفتها وكذلك استعمال هذه اللغة من قبل الجماعة اللغوية في حيز زمني معين :

– في الحاضر حين يتعلق الأمر باللغات التي تركز بالدرجة الأولى

على النطق. – و في الماضي حين ينق الأمر باللغات المكتوبة سواء أكانت

ميتة (كاللاتينية مثلا) أو حية (مثل : الإغريقية و غيرها)[6]

أهداف البحث اللساني :

---

[5] أنظر زبيرد دراقي محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، ص7

[6] المرجع السابق ص8.

للبحث اللساني أغراض متعددة يمكن حصرها فيما يلي :

1. تسعى اللسانيات العامة إلى معرفة أسرار اللسان البشري باعتباره ظاهرة عامة و مشتركة بين جميع أفراد البشر.

2. الكشف عن القوانين الضمنية التي تتحكم في البنية الجوهرية للغة.

3. التوصل إلى معرفة الخصائص الصوتية و الصرفية و التركيبية لكل السان من أجل وضع قواعد كلية تشترك فيها كل اللغات.

4. اكتشاف الخصائص العلمية التاندن، وحصر العوائق العضوية و النفسية و الاجتماعية التي تحول دون عملية التواصل اللغوي.[7]

[7]أنظر أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ديوان المطبوعات الجامعية .1994 . ص.16- 15